(٧)

الردع النووى

بين

الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى

مناقشة الردع النووى فى الولايات المتحدة :

ان الدور المستقبلى للاسلحة النووية سوف يكون عرضة لمناقشة مفصلة فى الفترة القادمة للعديد من الأسباب : فمن ناحية ، أذاعت الولايات المتحدة الأمريكية حديثا أنها سوف تؤكد على مقدرات القوة المضادة فى مذاهبها الاستراتيجية ، وسوف يكون مثل هذا التأكيد مرتبطا بالتطورات المستمدة فى التكنولوجيا العسكرية ، وبتحسين نوع الأسلحة الاستراتيجية(١) ودقة وسائل اطلاقها . بالاضافة الى ذلك ، يلوح فى الأفق احتمال التوصل الى تفوق استراتيجى ـ وهو توقع جذاب رغم أنه غير متوفر الحصول عليه فى المستقبل كما يتنبأ به ، بالنسبة لبعض الجماعات التى لها تأثيرها فى كل من القوتين الرئيستين . وهناك أيضا احتمال أن قوى أسلحة نووية جديدة سوف تظهر على المستوى التكتيكى ، فقد حبذ أن الأسلحة النووية ذات الدفع المنخفض الدقيق يجب أن تحل محل الأسلحة النووية ذات الدفع العالى الشائع استخدامها الآن ، خاصة فى أوروبا . ومن ناحية أخرى تتقدم المفاوضات للحد من تطوير الأسلحة الاستراتيجية وفضلا عن ذلك فان نتائج المفاوضات المتبادلة لتخفيض القوة قد يكون لها عواقب ملحوظة للسياسات النووية فى أوروبا .

بمرور الوقت ، فان أوجه القصور الشديدة فى مذاهب الردع النووى تلقى تقديرا كبيرا ، وكثير من المحللين ينظرون الى تلك المذاهب على أنها غير مسألة نزع السلاح . ورغم أنه للوهلة الأولى قد تبدو مقترحات مراجعة أدوار وأمكانيات الأسلحة النووية الاستراتيجية والتكتيكية اكثر انسانية ونفعا من السياسات التى ستحل محلها ، فانها عند الفحص الدقيق لها ، نجد أنها تحتوى على اخطاء بارزة ويمكن القول ، بانها اذا خرجت الى حيز التنفيذ العملى فليس من المحتمل أن تقلل بشكل ملحوظ الاخطار الوبيلة للجنس البشرى والكامنة فى وجود مخازن الاسلحة النووية .

المناقشة عن تطوير السلاح النووى الاستراتيجى :

حتى عام ١٩٧٤ ، كانت السياسات الأمريكية والسوفيتية المتعلقة بالأسلحة النووية الاستراتيجية تعتمد أساسا على مذهب « التدمير المتبادل الاكيد » وابرز الملامح الرئيسية لهذا المذهب الرادع ، هو مقدرة معينة لالحاق دمار كمى بسكان وصناعة العدو فى هجوم زاجر يتبع ضربة نووية كمية من جانب العدو فى خلال الستينات ، واصبح واضحا بشكل متزايد ان كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، لديهما مقدرة كبيرة من حيث قواتهما القائمة والموجودة بالفعل وأن التعرف على « الضالة » ـ من حيث الشأن ـ والتبذير ، والخطر للتوسع الكبير فى تلك القوات اذا ما أضفى عليه مذهب الدمار الاكيد ، قد عبر عنه فى اتفاقيات سولت الأولى والتى حدت من انتشار آخر للاسلحة الاستراتيجية سواء الهجومية أو الدفاعية ٠

وفى عام ١٩٧٣ ، ظهر عدد من المقالات الصحفية والبيانات فى الولايات المتحدة تدعو الى اعادة النظر فى سياسة الاسلحة الاستراتيجية الامريكية وجذبت فى جوهرها اعطاء مزيد من التأكيد عن ذى قبل لمقدرات « القوة المضادة » للأسلحة النووية ٠

ولم تحل استراتيجية القوة المضادة محل الردع ، بل انها زودتها بمقدرة اضافية للضرب ، سواء الضربة الأولى ، أو ردا على هجوم الأهداف العسكرية للعدو ، بما فى ذلك القذائف الصلدة ٠ وتتطلب مثل هذه الاستراتيجية عددا كبيرا من الرؤوس النووية القوية الرقيقة التى توجه ليس ضد المدن والمراكز الصناعية ومراكز النقل ، بل ضد المنشآت العسكرية ٠ وبالاضافة الى ذلك تضمن استراتيجية القوة المضادة المقدرة على خوض حرب نووية اذا أخفق الردع فى منع نشوبها ٠

ايكلى والتغير فى استراتيجية الردع النووى :

ويصور مقال لألفريد ايكلى ، الذى كان حتى عام ١٩٧٧ رئيس الوكالة الأمريكية لنزع السلاح والتحكم بين الاسلحة ، المناقشات المقدمة لتاييدالتغير فى الاستراتيجية ٠ يزعم ايكلى أن التدمير المتبادل الأكيد يتركز على ثلاث عقائد ، أولا : ان القوات النووية الامريكية يجب أن تصمم من أجل الردع ردا على هجوم نووى سوفيتى خاصة اذا تمثل فى الضربة الأولى(٢) ٠

ثانيا: أن القوات الامريكية يجب أن تكون مبتكرة وتعمل بطريقة دقيقة جدا بحيث يتحتم أن يكون مثل هذا الردع بمثابة القضاء على عدد رئيسى من السكان السوفيت • وفضلا عن ذلك فان نفس المقدرة على ابادة السكان الامريكيين يجب أن تكون مضمونة للحكومة لسوفيتية ويقول ايكلى أن الاحتياجات لردع ثابت لها ضرر على توقع نزع السلاح • وما أكثر أهمية هو أنها « تشكل » طريقة وقاية (وسيلة وقاية) محفوفة بالمخاطر من كارثة نووية • وان وجه الانتقاد الرئيسى الذى يوجهه ايكلى هو أن الردع المتبادل الأكيد يغفل الاحتمال البارز جدا بنشوب حرب نووية بالصدفة أو بسوء التقدير ان الجنون ، فالثقة الكاملة توضع فى حرب رادعة بالقرارات المتعقلة•

ويوصى ايكلى باستراتيجية جديدة ، تكون فيه الثقة الكاملة للقنابل، والقذائف ، والاختبارات السائدة ، فى تأثيرات الأسلحة بحيث يجب أن تستخدم لتمكين كلا الجانبين من تحاشى قتل ملايين المدنيين ومن ايقاع دمار أكيد بالاهداف العسكرية والصناعية وهو يوصى أيضا بأن القوى الاستراتيجية يجب أن تكون غير مكشوفة بقدر الامكان لكسر حدة « الدائرة الخبيثة » الكامنة فى المذهب الاستراتيجى الحالى ، والتى هى بالتحديد ، أن القوى النووية يجب أن تكون مستعدة للاطلاق الفورى لأنها مكشوفة ، وأنها مكشوفة لأنها يجب أن تكون مستعدة •

انه يزعم أن تلك المتغيرات ، ورغم أنها تتحاشى قتل الأعداء فانها لن تجعل الحرب النووية أكثر قبولا كأداة سياسية وسيظل الردع فعالا ، انه يحبذ فى الواقع أنه حيث تكون القوة العسكرية التقليدية للغزاة : (البحرية والجيش والسلاح الجوى) وامكانيات دعمها ، ستكون أول من يقاسى من الدمار ، الا أنه يبقى مرا أقل اغراء بالنسبة للعسكريين أن ينظموا حربا نووية ، ولا تزال المخاطرة بتدمير المراكز الآهلة بالسكان المدنيين تحتل مكانا هامشيا •

بانوفسكى يرد على ايكلى :

ثارت اعتراضات فورية فى الولايات المتحدة الأمريكية على المقترحات الخاصة ببناء استراتيجية مضادة للقوة ، وتتخلص معظم المناقشات ضد مثل هذه الاستراتيجية ، فى مقال لولنجابج بانوفسكى ، مدير مركز

ستانفورد للعمليات الخطية السريعة ، يفند فيها مزاعم ايكلى فبينما يقبل الرأى القائل بأن المذهب الاستراتيجى الحالى ، يتطلب من القوات النووية الاستراتيجية أن تكون مصممة أساسا للرد ردا على هجوم نووى • الا أن بانوفسكى يستنكر أن هذا الرد طبقا للمذهب الحالى يحتاج الى أن يكون سريعا وكميا ، فهو يشير الى أن ضربة أولى ناجحة ضد تجمع من القوى النووية (غواصات : وقذائف متمركز أرضيا ، وقاذفات) متعذرة تكنيكيا الآن ، أو فى المستقبل ، وليست هناك تأسيسا على ذلك حاجة لرد سريع على هجوم نووى • وفضلا عن ذلك ، يمكن استخدام القوات النووية بطريقة منظمة،لايجاد بدائل كثيرة ضد الضربة النووية، وبالتالى ، يكون غير صحيح ، الزعم بأن الرد الممكن ، الوحيد هو الردع الفورى الكمى • ويبرز بانوفسكى أن الأثر التدميرى لمخازن الاسلحة النووية الحالية هو أثر كبير جدا لدرجة أن حالات الموت سوف تبلغ عشرات الملايين حتى فى حالة اطلاق كمية لا تكاد تذكر من الاسلحة النووية لأحد الجانبين على أراضى الجانب الآخر • وعليه حتى اذا اقتصر الهجوم النووى على أغراض « عسكرية » ، فان الخسائر المدنية سوف تظل عالية ، وفضلا عن ذلك فانه بالتأكيد من المتعذر أن عدوا قد يتبع استراتيجية « عسكرية مضادة » مماثلة . وبمجرد تحطيم الحواجز ضد استخدام الاسلحة النووية فان التدافع نحو حرب نووية كاملة ا لنطاق من الصعب جدا منعه •

ويتوصل بانوفسكى الى أنه ليس هناك وسيلة تكنولوجية لتاجشى الورطة الشريرة من أن القوات الإستراتيجية فى كلا الجانبين يجب اما أن تصمم لقتل الناس أو لزعزعة العدو فى وسائل ردعه •

وليس هناك أى تمييز تكنولوجى ولا يمكن أن يوجد بين تلك الاسلحة النووية التى تهدد ، قوات الردع للعدو فى الضربة الأولى وبذلك يقل التوازن بين الأسلحة المصممة لمهاجمة نفس القوات بالردع •

وليست هناك فجوة ملحوظة بين الاسلحة النووية المنظمة لهجمات محدودة وبين تلك المصممة لردع استراتيجى •

ـ اعتراضات هربـــرت يـورك :

ان الهجمات النووية العسكرية المضادة ، ذت الحجه الكبير ، سوف تولد بالتاكيد خسائر مدنية مهولة • وقد اثيرت اعتراضات مماثلة بواسطة هربرت يورك ، رئيس قسم الفيزياء فى جامعة اولكافى ، تقدم بها الى مؤتمر ثيريس الذى عقد فى واشنطن فى اكتوبر ١٩٧٣ •

ان مثل تلك الاستراتيجيات المضادة للقوة كما يطلق عليها ، دائمـــا تتطلب أو على الأقـــل تبرر وجود أسلحة كثيرة وكبيرة أكثر من الأسلحة المطلوبة كما يعرف باستراتيجية الردع ، فى مثل هذه الحالة فان الفشـــل فى ردع ينجم عنه عموما موت الكثيريين خاصة فى دول العالم الثـالث • مما تكون عليه الحالة بالنسبة لقوة يقصد بها الردع فقط •

وفضلا عن ذلك فان السياسة التى تستهدف المنشآت العسكرية فقط سوف تكون مجرد ترتيب اداري ومن هنا فان مثل هـــذه السياسة يمكن استبعادها بمجرد الانذار بعد أن تستخدم أولا ، لتبرير زيادة كمية فى مستويات القوة لتلك الأسباب ويعنى ذلك أن مقترحات تحســـين الموقف الحالى بالذهاب الى استراتيجية مضادة للقوة هى من بين المقترحات البالغة الخطـــورة •

آراء جيمس شليز نجـــر :

وفى وجه المعارضة داخل المجتمع من التحكم فى الاسلحة الامريكية التى صورتها آراء بانوفسكى ويورك ، فان وزير الدفاع الامريكى الأسبق جيمس شليز نجر أعلن يوم ١٠ يناير ١٩٧٤ أن الولايات المتحدة تنوى بالفعـــل تبنى استراتيجية مضـــادة للقوة كبـديل نووى استراتيجى ولهذه الغاية فهى تحسن من دقة اطلاق أنظمة أسلحتها النووية ، وقد شكا شيلز نجـــر من أن الاستراتيجية التدميرية الأكيدة الحالية ، هى غير كافية من حيث المرونة ، بحيث تسمح للرئيس أن يأمر باقل من هجوم نووى شامل وأن احتمال ضربة نووية محدود ـ كما قيل ـ كانت فى الوقت الحاضر مجـــرد افـتراض •

ويضيف جيمس شليز نجر قائلا :

« وللحصول على هذا النوع من القدرة فعلينا أن نخطط بالأخذ فى الاعتبار للصعوبات التى تنجم من مثل تلك المواقف ، ولا ننصح بمحاولة للقيام بذلك تحت الحاح الظروف . بل الأفضل أن تفكر من خلال المشاكل مقدما ، وأن نضمن بالوسائل التى يمكن للرئيس أن يختار منها تحت وطأة الظروف ما قد يكون مطلوبا ، ولكى تقر بهذا الرأى ، نجد أنه من الضرورى ، أن نلاحظ ن الولايات المتحدة لديها فى الواقع مقدرة القوة المضادة وسياسة توجه القذائف الاستراتيجية الى أهدافها لعدة سنوات ٠ وتؤدى مقارنة بين عدد المراكز السوفيتية والتى هى محط أنظار لهجوم النووى ، بين عدد وخواص رؤس الحرب النووية فى المقارنة الاستراتيجية الامريكية ـ التى تؤدى الى نتيجة حتمية ، هى أن معظم الاسلحة النووية الاستراتيجية الامريكية يمكن أن توجه ضد الاهداف العسكرية فى الاتحاد السوفيتى ٠ وأن لدى الاتحاد السوفيتى على الأكثر ١٠٠ مركز مدنى ، وصناعى ، رأس حرب طراز ميرف زنة ١٦٠ كيلو طن منتشرة فى قذائف بالسنة عابرة للقارات متمركزة ارضا ٠

ان ما أذاعه شليز نجر ليس تغيرا فى الاستراتيجية النووية ، لكن القرار الذى اتخذته لادارة الامريكية لاعلان ما تراه حتى الآن من ـ أن الولايات المتحدة كانت تتابع استراتيجية نووية مضادة للقوة ٠ والسؤال هو : ما هو اذن الغرض من هذا القرار ؟ وما الذى أدى الى اذاعته رسميا فى هذا الوقت ؟٠ فى الماضى اتخذت مواقف استراتيجية جديدة تأييدا لانتشار أنظمة سلاح جديدة يتم تطويرها مستقبلا أو طورت فعلا من قبل ٠ وهذا أمر لا يمكن تحاشيه فعلا حيث أن أنظمة السلاح الاستراتيجى تستغرق سنوات طويلة لتطويرها ، وبالتالى ، فان اختيار الاستراتيجية لنوعية يبرر التطوير المستمر للسلاح ، الذى تعتمد عليه هذه الاستراتيجية ويؤكد ضمانها واستمرارها ، مثلا نجد فى الولايات المتحدة أن الحاجة للقضاء على نظام .A.M.B السوفيتى قد نجمت لتدمير لحاجة الى رؤوس الحرب ميرف عام ١٩٦٨ ، غير ان هذه الفترة قد شهدت تغييرا جديدا حيث ميرف قد تطورت فعلا بعد خمس سنوات من العمل فى المعامل الحكومية ، وان حاجة الدولة لحماية نفسها من

هجوم صينى ، قـــد نشأت من عام ١٩٧٠ لتبرير انتشار نظام A.M.B. الذى كان تحت الدراسة والانتشار منذ عام ١٩٥٥ ٠

ان استراتيجية الدمار الأكيد(٣) المتبادل للقيام بهجوم نووى كانت بمثابة التعقـــل لضمان وانتشار القذائف لاستراتيجية مانيبو تمـان ، والقذائف بـ ٥٢ والغواصات حاملة القذائف ، ان مثل هذه التبريرات التى عملت بعد النقاش لهذه الأمور كان مؤداها سياسة استراتيجية مناســـبة والتى جعلت انتشار هذه العوامل النووية أمرا هاما يحبذ أن تبنى سياسة أخرى قد تؤدى الى اضعاف الرغبة فى لادارة الامريكية السائدة ، فى انتاج وانتشار أنظمـــة السلاح الاستراتيجى التى لا يمـــكن تبريرها للجمهور وللكونجرس فى سباق استراتيجية دمار أكيد أو ردع المذهب الذى هو حتى الآن بمثابة الواقع الاستراتيجى الرسمى فى الولايات المتحـده٠

ان استراتيجية القوة المضادة ، كما نادى بهـــا شيلز نجر ، تتضمن تلميحا بأن الولايات المتحدة يجب أن تكتسب مقدرة « ضربة جراحية » ، أى القدرة على تدمير هدف عسكرى ، قرب مركز مدنى ، أو فى مركز مدنى ، دون تأثيرات خطيرة على السكان المدنيين ، وهذه السياسة ، بينما تكون مقبولة من جانب الجمهور ، فانها تتطلب رؤوس حرب ذات دقة عالية جدا وشحنة نووية صغيرة جدا ، وان مثل تلك الاسلحة ليست سائدة الانتشار فى مخازن السلاح الامريكى ، ان معامل السلاح النووى للحكومة الامريكية فى تخزينها لديها نظام معين ٠ وقد نجح مشروع ابريس الذى تديره منظمة الفضـــاء والقذائف بالسلاح الجوى الامريكى فى اتقان نظام توجيه نهائى يمكن ان يطلق على هدف محـــدد ٠

ان التصريح العلنى لاستراتيجية القوة المضادة فى الولايات المتعدة ، سوف يزيد من احتمال أن الكونجرس سيعتمد ميزانية لانتشار قـــذائف المـارف والقذائف بالبالسنية عابرة القارات سهلة الحركة ٠٠ وعندئذ قـــد يصمم السوفييت على اتباع نفس النمط الامريكى ٠ كذلك فان ادخال قذائف المـارف ، سوف يزود الولايات المتحدة بمقدرة الضربة الأولى التىلا تنكر ضـــد القذائف المتمركزة أرضا فى البلاد الأخرى ٠ ومن المؤكد تماما أن قذائف المـارف سوف تستخدم كحجة بواسطة قسم الانظمة البالستية فى الولايات

المتحدة وقسم الصواريخ الاستراتيجية فى الاتجاه السوفيتى فى صالح انتشار القذائف البالستية عابرة القارات المتمركزة أرضـــا ٠ وبغض النظـــر عن التكاليف « الفلكية » لمثل هذا الانتشار ، والحظر بـــين السكان المدنيين فى الاراضى المجاورة للطرق التى سوف تسلكها تلك القذائف ، فان أى تقـدير دقيـــق لإعدادها سيكون من الصعب احرازه بوسائل وطنيـــة للتفتيش (الأقمار) لدرجة أن احتواء ذلك فى اتفاقية أسلحة فى المستقبل . قد يتعثر على نفس الطريق الذى أعاق مجهودات التحكم فى القذائف ميرف ٠ وتأتى أخيرا مشكلة أخرى وهى أنه فى رأى يورك تكون مشكلة الردع محصورة فى سبب سياسى أو سيكولوجى أو فنى ، وقد يفشل الردع ، وفى هذه الحالة فان النتائج الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية سوف تكون بعيدة كليـــة عن أى رأى معقول للاهداف القومية للولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى . وكتقدير وسط لهذا الرأى تجدر الاشارة الى مافعله الفرنسيون والبريطانيون فعلا لانتاج ما يعتقدون أنه فعلا قوة ردع فى كل حالة يكون عدد القنابـــل الكبيرة المخصصة لهذا الغرض يبدو أنه أقل من مائة ٠ وفى رأى يورك فانه من واحدة الى عشرة هو عدد كافى عندما يتحدد سير الاحداث بطريقة متعقلة٠ وفى حالة التصرف الغير متعقل فليس هناك وسيلة لحساب النتائج ، وعلى ذلك فانه فى حالة التصرف الغير متعقل تكون ذات اهتمام قليل بالنســـبة لمسألة حجم قـــوة الردع وما ينبغى أن تكون عليـــه خلاف ذلك ، وتتحول مسألة السلوك الغير متعقل فقط الى أسئلة عن متى وكيف سيفشل الردع وعما اذا كانت سياسة قائمة على الردع لهـا قيمة سياسية على الاطلاق ؟٠

لمـاذا تتوافر القوة النووية ذات القوة التفجيرية الهائلة ؟ :

لمـا ذا اذن تمتلك الولايات المتحدة ما يزيد عن ١٠٠٠٠ قنبلة فى حـين أن عشرة أو واحد أو مئات قليلة من القنابل على هدف هى كل ما تحتاج اليه؟ ولماذا تكون هذه القوة التفجيرية الهائلة ؟ وبالمثل لماذا طور الاتحاد السوفيتى قوة نووية مماثلة(٤) ؟ ٠

ان هذه الأعداد ليست نتيجة احصاء دقيق وحريص للحاجة فى بعض المواقف النووية الاستراتيجية أو التكنيكية ٠

وهناك حجـــة اضافية لامتلاك أسلحة أكثر من الاسلحة المتطلبـــة

للردع . وهذه الحجة تنطوى على فكرة مؤداها أن جزءا من قواتنا يجب أن يحتفظ به كاحتياطى بحجة تدمير أسلحة العـــدو ، والتى للسبب ما ، لم يستخدمها فى ضربته الأولى ، وبالاضافة الى الصعوبات الفنية الواضحة فى شل مشروع كهذا ، فانه يتتبع أشياء مضادة لأسباب سياسية ، ففى عالم اليوم ، نجد أن السياسة الداخلية لكل من القوتين العظميين تتطلب منهمـــا الاحتفاظ بقوات استراتيجية تكون مساوية لبعضهما فى الحجم وهذا بدوره يعنى أنه اذا قام جانب واحد ببناء قوة كبيرة « للحـــد من التدمير » ، فان الجانب الآخر ، سوف يقوم ببناء قوة مساوية تماما ، والتى سوف تكون حتما (منتجة للدمار) مثل تلك السلسلة من الاحداث تؤدى بوضوح من سيىء الى أسوأ ، وفضلا عن ذلك فان نوع القوات اللازمة لهذا الذى يطـــلق عليه (تعبير التدمير) هى من الناحية التكنولوجية ، مميزة لتلك القـــوى اللازمة للضربة الأولى ، وبذلك فان مثل هذه الاستراتيجية من الواضح أنها خطيرة لهذا السبب أيضا(٥١) .

النقطة الجوهرية اذن تنحصر فى أنه حتى مع قبول الحاجة لسياسة ردع من خلال تدمير متبادل أكيد فان القوات الموجودة الآن هى أكبر بشكل مهول من القوات المطلوبة لذلك الغرض ، ومرة ثانية اذا أدركنا أن الردع يمكن ان يفشل ، واذا أقرّينـــا لأنفسنا بنتائج مثل هذا الفشل ، عندئذ فان الرأى المرجح هو أن تقليل الدرجة السائدة للدمار الزائد عن الحـــد هى أمر ممكن وجوهرى .

ويوصى يورك بانه كخطوة أولى نحو استراتيجية أكثر اقتناعا ، فان القوات النووية يجب أن تقل بالقضاء على العناصر التى تطلق ثـــل تلك العوامل الكثيرة والشديدة الباعثة على الفتك والتدمير .

ماذا يعنى ذلك على صعيد القوة التدميرية للدولتين العظميين ؟ وتأثيرها ؟ وكيفية تلافيهـــا ؟ :

الملاحظ أنه فى كل حالة تحمل ٢٠٪ من القوات ٨٠٪ من تلك العوامل ـ فى حالة الولايات المتحدة تكون تلك العوامل هى مئات القاذفات العـديدة ذات المدى الطويل والقذائف تيتان ٥٤ وفى حالة الاتحاد السوفيتى تكون تلك العوامل هى الثلاثمائة قذيفة الكبيرة س٠ سى ـ ٩ (٩ ـ د د) ، بالاضافة

الى قوة قاذفات عابرة للقارات صغيرة نسبيا(٦) · وان تخليص العـــالم من كل تلك الأسلحة وبالطبع ، منع استبدالها ، بأنواع أخـــرى مماثلة ، سوف يقلل التهديد الموجهة للسكان المدنيين لكل من الدولتين ، وأيضا يقلل من الخطر الموجه للمدنيين ، فى الدول الأخرى البريئة خمســـة أضعاف وكذا تقليله بالنسبة لكل من الدولتين · وفى نفس الوقت ، فان القضاء الملزم لكلا الطرفين على تلك الاسلحة من خلال مفاوضات أو حتى القضاء عليها من جانب طرف واحد ، سوف يكون له تأثير قليل على موقف الردع فى أى من الجانبين ، فضلا عن أن القدرة على زيادة التدمير والابادة فى القوات الموجودة حاليـا هى قـدرة كبيرة جدا ، لدرجة أنه حتى التخفيضات الكمية المقترحة لن تفعـــل الكثير من أجـل التهديد الجاثم على المدنيين فى المدن الكبرى · لكن حيث أنه سيكون هناك تخفيضات كبيرة فى الابادة والدمار فى المناطق الريفية والبلدان الصغيرة ، فان التوقعات م ن أجل نوع ما من الاحياء القومى سوف يتحسن بشكل بالغ ، ولعل ما هو أكثر أهمية من ذلك هو أن عدد حالات الوفاة فى البلاد البريئة سوف يقل لأقل من عشرة أضعاف ·

مذهب الأسلحة النووية التكتيكية :

لقد ظهر عدد من المقالات حديثا تناقش تلميحات عن الانجازات الممكنة لأسلحة نووية تكتيكية ذات طـــاقة انطلاق منخفضة · لكن أقوى نقـاش لاقتراب جديد كلية للحرب النووية التكتيكية هو على أساس استخدام تلك الأسلحة وخاصة فى أوروبا ، وقد أوردت الصحف الامريكية آراء عـدة أعضاء من هيئة معمل لوس أنجلوس العلمى ، وأنهم يجدون فى سياسة النـــاتو الاستراتيجية الحالية ، ذات الاستجابة المرنة ، انها خيالية حيث انهـــا تحاول الربط بين الاجراءات العسكرية والسياسية لاحتواء أشكال الاعتداء المحدودة ، وتسعى وراء الأشكال الاكثر توسعا بالتهديد بانزال خســـائر تدميرية بالاتحاد السوفيتى على أنها اما غير مقبولة أو لا تتناسب مع أية مكاسب متوقعة(٧) · انهم يتساءلون عن مقدرة قوات الناتو من حيث الدفاع بشكل فعال ضـد هجوم كمى هائل الحجم · وهم يقولون بأن الاستخدام الفعلى للقوات الردع النووية قد تؤدى الى خسارة غير مقبولة لكل من بلاد حلفى شمال الاطلنطى ووراسو ونتيجـة لذلك يعتمـــد الناتو على وضع

عسكرى غير مناسب للدفاع الفعال وغير قابل للاستعمال اذا فشـــل فى ردع هجـــوم ٠

وهنا حقيقة أخرى وهى أن أعضاء الناتو واقعين تحت ضغط اقتصادى، لتقليل قواتهم ، وهذه الحقيقة تتضح كعامل يستنكر توازن هذا الموقف ٠ وعامل آخر يعمل فى هذا الاتجاه هو القوة الهائلة للتـــدمير لكافة اسلحـة الناتو النووية ، وفى الاجراءات الموضوعية ، لاستخدامها حتى اذا تمت فقط حرب دفاعية ٠ وان أخطر نقص يرى فى وضع الناتو الحالى ، هو القـدرة المحدودة فى قوات الناتو الحالية لايقاف هجوم مقرر ومحدد ٠ ولكى يتم ذلك فان الناتو قـــد اعتمد على التعبئة والتعزيز وكلتيهما عمليتان تستهلكان الـــوقت ٠

وأثناء تلك الفترة قد تكون قوة غزو تسللت الى أعماق أراضى المـانيا الغربية ٠ ويقول أعضاء هذه الهيئة فى آرائهم أن مدى الاسلحة النووية يجب أن يصمم للاستخدام النوعى فى أى موقف صراع أوروبى محتمل ٠ والى الحد الذى تنظر فيه بعين الاعتبار للقوة التدميرية لهذه الاسلحة ، فان القيـــادة السياسية للناتو ، لا تريد أى تفجـــير للاسلحة لتعرض الناس وتراثهم الثقافى والشعوب وتراثهم الثقافى للتدمير ٠

وأن هذا التدمير يمكن السيطرة عليه باختيار منطقة الهدف ومعايـير هزيمة هذا الهدف ، لكن القائد للعسكرى يجب أن تتوفر لديه أسلحة قادرة على استخدام الاسلحة النووية التكتيكية ، وقليلون قد يكونوا واثقـين من أن هذه السياسة أو أية سياسة أخرى فعالة مماثلة قد تمنع فى الواقع صداما مسلحا يجعل القوة الرئيسية تمتنع عن حرب نووية شاملة طالمـــا أن أى أسلحة نووية ـ بغض النظر عن طرازها ـ تستخدم وليس هناك ضـــمان أو حتى احتمال أن العدو سيتبنى تكتيكا مماثلا ٠

وعلى وجه الخصوص فان تقديم أسلحة نووية ذات قدرة اطـــلاق منخفضة (أقل من الكيلو/طن) قد يشوش التمييز الحالى بـــين الاسلحة التقليدية والاسلحة النووية ويحذر خصوم استراتيجية الحرب النووية(٨)٠

انه من الأهمية البالغة أن ذ شوب حرب مطلقة يجب أن يكون بـــين حـــرب نووية وتقليدية ، انهم يقولون ان من المهم أن تـــلك الاعتراضات

لسياسة استخدام الاسلحة النووية التكتيكية ، يجب أن يكون مفهوما لأنه قـــد تثار ضغوط قوية فى المستقبل القريب لتبنى مثل تلك السياسة رسميا وخاصة فى أوربا ٠

وفى الوقت الحاضر وفى المستقبل يمـــكن كسب حـــرب نووية عامة بواسطة أحد الجانبين ونتيجة لاعتبارات التوقيت فان عددا صغيرا من القوات الاستراتيجية المكشوفة تماما ـ القاذفات والقذائف البالستنية عابرة القارات ذات القواعد الارضية ـ قد تكسب فرصة معايشة هجوم ابتدائى ، حتى اذا تحسنت القوات المهاجمة كثيرا فوق القـــوات الموجودة الآن ، وما هو أكثر أهمية فرغم القدر الهائل من النقود التى تصرف على أبحاث الحرب المضادة للغواصات ، فان الغواصات النووية سوف تظل بالتأكيد غـــير مكشوفة ، لبعض الوقت بالنسبة لهجوم شـــامل ، بالاضافة الى القوات النوويـــة الاستراتيجية التى يعـــرضها كل من الجانبين فهنـــاك بالطبع الآلاف من الأسلحة النووية البرية والبحرية متوسطة المدى وقصيرة المدى ومعظمهـــا لها قدرات تفوق القنابل النووية التى أطلقت على هـيروشيما ، ونجازاكى بسبب الانتشارات الكمية الهائلة للاسلحة النووية من كل الأنواع بواسطة كلا الجانبين ، فان احتمال ان أحد الجانبين يتحاشى النتائج الوبيلة التى تتبع الهجمات الابتدائية هو احتمال منعدم تماما ، لكن لا أحد يعرف اذا كان الموقف التكنولوجى الحالى ، سوف يستمر لعشرات السنين ٠ هناك تيارات متعددة للتطوير ينتهج بعضها الآن كل من الولايات المتحدة والاتحادالسوفيتى التى تميل نحو اكتساب مقدرة الضربة الأولى ، وهـذه التيارات ، قد تنتج فترات من عـــدم الاستقرار والمجازفة المتزايدة بالحرب النووية ، تاريخيا احتفظ أيضا بالقوات النووية لردع أعمال الابتزاز السياسى والاقتصادى ، لكن الاحتياج الأهم هو أن السكان المدنيين فى كل من الولاياتالمتحدة والاتحاد السوفيتى وأيضا بلاد أخرى قد يكونوا فى وضـع تهديدى بحرب نووية قد نوقش أيضا ، فهل يمكن أن يبرر هذا بردع قوى للصراعات الأقل؟ وبالاضافة الى القضاء المحتمل على الاسباب الاكثر « تعقلا » لعدم استخدام الاسلحة النووية ، فهناك الخطر الكبير والقائم دائما على أن الحـرب النووية ستقع بالصدفة أو سوء الحساب أو الجنون خاصة كلما ظهرت الى الوجود قوى

أسلحة نووية جديدة ولا يمكن لأى استراتيجية نووية أن تتعامل بشكل فعال مع هذا الاحتمال(٩) ٠

نزع السلاح النووى :

لقد قال الرئيس الأسبق نيكسون فى رسالته عن حالة العالم حتى عام ١٩٧٣ « اذا لم يعد التفوق ممارسا ، كان التخلف سيقتصر الى التفكير فيه ، اننا مصممون على الاحتفاظ بدفاع قومى من الطراز الأول لا يكون ثانيا لدفاع أول » ان هذا النمط من الكلام يمكن تحاشيه لكى تثبط من همة تلك الجماعات داخل المجتمعات والتى تلح من أجل استمرار سباق التسلح وتضغط باقصى جهدها على الابحاث العسكرية لتطوير أسلحة لشن وكسب حرب نووية ٠ ويمكن النظر الى استراتيجية القوة المضادة على أنها خطوة أخرى فى هذا الاتجاه ـ ففى جعل الحرب النووية أكثر « مرونة » يمكنها أن تجعل منها أكثر مجالا للتفكير فيها ومقبولة أكثر وبالتالى احتمال وقوعها أكثر لأنه لا يمكن القول بأن الجهود لاكتساب مقدرة ضربة أولى لن تنجح ، رغم أنه فى المدى الطويل ، فقد تكون الـ سياسة الوحيدة المعقولة لتقليل احتمال الحرب النووية هى سياسة نزع السلاح النووى الى أبعد حد ممكن ٠

وان أهم احتياجات صناع القرار السياسى لفهم وادراك الحاجة الملحة لنزع السلاح النووى بحيث يقاومون تلك المطالب فى نطاق مجتمعاتهم والتى تلح على تطبيق كل أوجه التقدم التكنولوجية المحتملة على تطوير أنظمة السلاح ولانتشار كل الاسلحة الجديدة التى استخدمت ولصيانة وتحسين كل أنظمة السلاح الموجودة ، هى التفهم العامل لأهمية نزع السلاح النووى(١٠) ٠

أمريكا والردع النووى لحلف شمال الاطلنطى :

وافقت الدول الأعضاء فى لجنة التخطيط النووى لحلف شمال الاطلنطى (الناتو) ـ عدا هولندا ـ يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٩ ٠ على الخطة الامريكية المقترحة لدعم القوة النووية للحلف ٠ بادخال أنواع حديثة من الوسائل النووية ذات المدى المتوسط ٠ ابتداء من عام ١٩٨٣ ٠

وكانت استراتيجية الناتو ، تعتمد فى الماضى على السبق فى توجيه الضربة الأولى · وذلك لما كانت تتمتع به قواته من تفوق فى الاسلحة التقليدية والنووية · كما كانت تعتمد فى مرحلة معينة ، على أن قوات حلف وارسو ، لن تجرؤ على التحرك خشية الانتقام الجسيم النووى الامريكى · واستمر هذا المفهوم سائدا حتى ديسمبر ٦٧ عندما وافق حلف الناتو · تحت ضغط من الولايات المتحدة الامريكية · على اتباع المفهوم الاستراتيجى « للاعمال الانتقامية المتدرجة المرنة طبقا للمراحل باستخدام الأسلحة التقليدية والنووية ، وتبعا لمدى التهديد »(١١) ·

وساد الاعتقاد فى ذلك الوقت ، بانه اذا بدأت قوات حلف وارسو هجومها ، فانه يمكن لقوات الناتو ، باستخدام الاسلحة التقليدية فقط ، ايقاف الهجوم المعادى ، أو تعطيله للوقت اللازم ، لتدعيم القوات ، باتمام التعبئة الوطنية ، للدول الاوربية الغربية ، ونقل القوات الامريكية ، وكذا لتوفير الوقت الضرورى ، للبحث عن حلول سياسية · وأخيرا لتقييم مدى الحاجة لاستخدام الاسلحة النووية ·

وقد أوضحت أحدى الدراسات مؤخرا ، أن قوات حلف وارسوباستخدام الاسلحة التقليدية فقط ، وباستغلال المفاجأة ، يمكنها احتلال المانيا الغربية والوصول الى نهر الراين خلال ٤٨ ساعة ، أو خلال فترة يقدرها بعضهم الأكثر تفاؤلا بأربعة أيام(١٢) ، ويؤكد تلك الحقيقة تقرير عن الكفاءةالقتالية لقوات حلف الناتو ، تم اعداده ، فى ديسمبر ١٩٧٦ بأمر من الجنرال الكسندر هيج القائد الاعلى لقوات الحلف ، والذى توصل الى استنتاج بأن « قوات الحلف البرية ضعيفة ، ويجب سرعة تقويتها ، لمواجهة خطر تزايد احتمال شن قوات حلف وارسو هجومها فجأة » · ويشير ذلك التقرير الى الخطورة البالغة لهذا الوضع ، الذى يعرض دول الحلف ، لما أسماه « الابتزاز السياسى السوفيتى » نتيجة لأن قوات الناتو ، لا تمثل أى عامل ردع ، لما يشوبها من عوامل ضعف خطيرة ، من حيث الاستعداد القتالى ، والاستكمال ، والتدريب ، كما أن التفوق العددى فى الطائرات ، والمدافع ، والدبابات ، والتشكيلات ، البرية · فى جانب حلف وارسو ، ولا يتمتع حلف الناتو ، الا بالتفوق العددى فى الذخائر النووية التكتيكية (وخاصة من

الأعيرة الصغيرة الأقل من ٢٠ كيلو/طن والتى تطلق من وسائل ذات مدى أقل من ١٠٠ كم) ٠

التوازن الاستراتيجى بـــين حلفى الناتو ووارسو :

توضح الاحصائيات الأخيرة(١٣) ، ان حلف وارسو ، يمتلك ٦٨ فرقة فى مواجهة ٦٤ فرقة لحلف الناتو ، ولكن يزيد الفارق بعد التعبئة ، اذ تزيد قوات حلف وارسو ، لتصبح ١٨٣ فرقة ، بينما يتيسر لحلف الناتو ، بعـــد التعبئة وكذا نقل القوات من الولايات المتحدة ١١٦ فرقة فقط ٠ وتوضح أعداد قطع الاسلحة الرئيسية ، التفوق البارز لحلف وارسو ، اذ يمتلك ٢٧ الف دبابة ، فى مواجهة ١١ الف و ١٤ الف قطعة مدفعية فى مواجهة ٢ر٦ الف ، ٥٨٠٠ طائرة تكتيكية فى مواجهة ٣٣٠٠ ٠

ومن الغريب أن يحدث عدم التوازن ذلك ، بالرغم من أن الناتو ، يمتلك طاقة صناعية تفوق حلف وارسو بمقدار الضعف ٠ وقوة بشرية تزيـد مرة ونصف ، وهذه العوامل قطعا ، تساعد الناتو على التصدى لحرب طويـــلة ممتدة ، ولكنها لم تحقق التوازن حتى الآن ٠

وتعتمد الدول أعضاء حلف الناتو ، على التفوق النووى التكتيكى ، وخاصة من الاعيرة الصغيرة ٠ اذ تحتفظ الولايات المتحدة بأكثر من سبعة آلاف رأس نووى فى أوربا ، يمكن استخدامها ، بوساطة ثلاثة آلاف وسيلة تكتيكية (مدافع وهاوتزرات وصواريخ وطائرات) ضـــد أهداف صـــغيرة منتقاة بدقة ، مثل المستودعات ، والمطارات ، ومناطق تجمع الدبابات ٠ولكن من الناحية العملية ، فان الولايات المتحدة ، سوف تكون مترددة كثـــيرا ، قبل أن تقـــدم على استخدام الاسلحة النووية ، حتى ولو كانت تكتيكية صغيرة العيار لأن هذه الخطوة ، قـد تكون الأولى نحو اشعال حرب نووية عالمية ليس فيها منتصر ومهزوم ٠

وعلى كل حال ، فان الدوائر العسكرية لحلف شمال الاطلنطى (الناتو) تعتبر ذلك أمرا ممكنا ، بل وضروريا فى بعض الأحيان ٠

احتمالات الاستخدام الفعلى للأسلحة النووية التكتيكية :

كثر الجدل فى الدوائر العسكرية الغربية ، حول الاحتمالات الفعليـــة

لاستخدام الاسلحة النووية التكتيكية فى أوروبا · وبلغ الجدل ذروته فى بداية عام ١٩٧٧ ، عند مناقشة ميزانية الدفاع فى الكونجرس الامريكى ونادى بعض الخبراء ، بأن استراتيجية الناتو التى ظلت نووية لمدة عشرين عاما ، قد عفى عليها الزمن · وانها أصبحت الآن غير واقعية ، وذلك لسبب واحد بسيط ، وهو أنه فى حالة ا ختراق قوات حلف وارسو بسرعة · واحتلالها المانيا الغربية . أو أجزاء منها فان قوات الناتو ، سوف تواجه الاختبار الصعب ، الذى يقضى بتوجيه أسلحتها النووية التكتيكية ضد المدن ، والبلدان التابعة لاحدى الدول الأعضاء ·

ويقول آخر فانه لانقاذ المانيا الغربية من الاحتلال بقوات وارسو ، يجب تدميرها بقوات الناتو ·وتشير دراسة أخرى الى أنه من غير الممكن(١٤) أن يستخدم الناتو الاسلحة النووية لتوجيه الضربة الأولى لردع أو احباط أو صد هجوم بالاسلحة التقليدية ، لأن ذلك سوف يؤدى بالتأكيد الى انتقام رهيب ، جسيم ، من الاتحاد السوفيتى · ضد أهداف بالاراضى الامريكية ، وكذا فى أوروبا · وقد تستخدم عندئذ الوسائل الاستراتيجية . البالغة القوة · وتمضى الدراسة فتوضح أن هذا الاسلوب فى الاستخدام ، كان ملائما فى بداية الخمسينات ، عندما كانت الولايات المتحدة تحتكر الاسلحة النووية ، ولذا كان يمكنها بكل ثقة ، التهديد باستخدامها فى حالة اى تحرك سوفيتى ·

ولكن بدأ هذا الأخير فى تملك الاسلحة النووية ، منذ منتصف الخمسينات واستمر فى تطويرها ، حتى أصبح الآن يتعادل مع الولايات المتحدة ، ان لم يتفوق عليها فى الاسلحة النووية ، و خاصة الاستراتيجية ، من ناحية شدة التدمير ، وقوة الحمل ·

وتشير هذه الدراسة الى أن قيادة الناتو ، بالرغم من ذلك ، لا تزال تخطط لاستخدام الوسائل النووية التكتيكية ، كوسيلة أخيرة ، لمنع هزيمة قوات الناتو فى مواجهة قوات حلف وارسو ·

وفى هذه الصدد ، ترى اللجنة أن استخدام الاسلحة النووية لمنع انهيار الدفاعات التقليدية ، لن يحول الهزيمة الى نصر ، بل من المؤكد أنه سوف يسبب زدا كبيرا من القوات السوفييتية النووية الهائلة ·

ويؤكد التقرير ، أن تبريز الاحتفاظ ، بقوات المسرح النووية (حوالى آلاف رأس ذرى . وثلاثة آلاف وسيلة اطلاق وحمل) هو لردع السوفييت من استخدام الأسلحة النووية أولا • وكذا لردع اى هجوم باسلحة تقليدية •• غير أن هذين السببين غير واضحين • ويسودهما الشك بل والتناقضات •

ويقترح التقرير • التركيز على استخدام الاسلحة النووية كوسيلة ردع فقط ، وليس استخدامها ضد أى هجوم تقليدى ولهذا الغرض يجب على الدول أعضاء حلف الناتو • تقوية قواتها التقليدية لمنع الانتصار السريع والحاسم لقوات حلف وارسو دون الاضطرار لاستخدام القوات النووية •

ولكن الدول أعضاء حلف الناتو • لا ترغب فى اتباع تلك النصيحة ، التى ستؤدى بلا شك ، الى زيادة نفقات الدفاع فى الدول الأوروبية الغربية ، التى تعانى حاليا من أعباء الضائقة الاقتصادية العالمية •

ولذا يطالبون بالاستمرار فى اتباع استراتيجية تخصيص قوة نووية للمسرح ، كوسيلة اقتصادية تسمح بتقليل حجم القوات التقليدية •

وخلال مناقشات الكونجرس ، اتضحت ضرورى تقرير مدى فائدة الاحتفاظ بالقوات النووية ، والسبب فى ذلك ، هو أنه اذا كان المطلوب ردع السوفييت عن استخدام الاسلحة النووية فى أوروبا ، فانه يمكن تحقيق ذلك ، باستخدام صواريخ الغواصات النووية (بولاريس ، بوسيدون ، ترايدنت) المخصصة فعلا لحلف الناتو • ولذا فان هذا التفكير يؤدى الى استنتاج عدم جدوى ، أو ضرورة الاحتفاظ بالوسائل النووية على الاطلاق غير أن « الاحتفاظ بتلك الوسائل فى أوروبا هو خير تأكيد لحلفائها بمدى استعداد الولايات المتحدة لتحمل مسئولياتها للدفاع عن أوروبا » •

دوافع الاحتفاظ بالاسلحة النووية فى أوروبا :

ان الاحتفاظ بالأسلحة النووية التكتيكية فى أوروبا ، ينبع من نواح سياسية واقتصادية أكثر من نواح عسكرية بحتة •

كما أن هناك عاملا جديدا ظهر ليقلل من مدى فاعلية ، أو جدوى الاحتفاظ ، بالأسلحة النووية التكتيكية فى أوروبا الغربية ، وخاصة فى الوسائل قصيرة المدى ، وهو عامل الوقت •

فقد أوضح القانون الجديد لخدمة الميدان بالجيش الامريكى الذى صدر فى عام ١٩٧٦ ، أنه يلزم مرور ٢٤ ساعة ، قبل الحصول على اذن باستخدام الأسلحة النووية التكتيكية ، ولكن قبل هذا الوقت ـ وكما توضح الدراسات المنشورة لحلف النـــاتو ـ سوف تـــكون القوات المهاجمة (السوفييتية وحلفاؤها ، قد توغلت داخل حدود المانيا الغربية ، وعبرت مواقع المدفعيـة الذرية لقـــوات الناتو هناك ، واقتربت أو هاجمت فعلا مواقع الصواريخ الأمريكية (لانس وأونست جون) ٠

ولذا لا يتبقى أمام قادة حلف الناتو سوى الاختيار ، بين ترك تلك الأسلحة فى مواقعها معرضة لخطر اجتياحها بالقوات السوفييتية المهاجمة ، أو سحبها الى الخلف داخل عمق أراضى المانيا الغربية ٠٠ وكلاهما اختيـار صعب ، حيث انه فى الحالة الأخيرة ٠ سوف تستخدم الذخائر النووية ضـد المدن والبلدان بالمانيا الغربية ذاتها ٠

ويستمر القانون ليؤكد أن استخدام الاسلحة النوويـــة التكتيكية للولايات المتحدة أولا سوف يكون غالبا فى موقف دفاعى ، وبناء على خطط دفاعية سبق وضعها ٠ أما الاستخدام التالى ، فقد يشمل المساعدة النووية للعمليات الهجومية ، لتدمير العدو المتوغل ، واستعادة الاراضى المفقودة ٠

ممـا سـ بق يتضح أمران هامان(١٥) ، يشير اليهما دائما الخبراء العسكريون فى أوروبا الغربية : الأول ، وهو أنه لتحقيق الاستخدام الفعلى للاسلحة النووية التكتيكية ، قصيرة المدى فى المسرح الاوروبى ، بطـــريقة مؤثرة ، يجب أن تكون المبادأة بالاستخدام فى جانب حلف الناتو (والا تعذر الاستخدام لاقتحام مواقع الاطلاق بوساطة القوات المهاجمة قبل أن يصل الاذن بالاستخـدام) ٠ والثانى ، ضرورة تقييـد الاستخدام منعا لتطـور الحرب المحدودة النووية الى حرب نووية شاملة وألا تعرضت سلامة أمريكا وأمنها للخطر ٠٠ ومن هنا تصر أمريكا على أن يكون قرار الاستخدام قرارا أمريكيـا ٠٠

وهذا يؤكد ما يخشاه بعض زعماء أوروبا الغربية ، من أن أمريكا لن تكون مستعدة للتضحية بأوروبا ، لضمان أمنها ، وسلامتها ، أو مايعتبرون

عنه بقولهم أن أمريكا ، لن تكون مستعدة للتضحية بشيكاجو أو ديترويت· انتقاما لتدمير درسدون أوكولون ·

محاولات استعادة الثقة فى الأسلحة النووية التكتيكية :

فى أواخر السبعينات ، أصبح واضحا للمفكرين العسكريين الغربيين أن تفوق حلف الناتو فى الأسلحة النووية التكتيكية قصيرة المدى ، هو تفوق نظرى · اذ لن يمكن عمليا استخدام تلك الاسلحة ، بتأثير لردع أو صد هجوم تشنه قوات حلف وارسو ، باستخدام الاسلحة التقليدية فقط المتفوقة عدديا ونوعيا ·

وفى محاولة من الولايات المتحدة الامريكية ، لاستعادة ثقة حلفائها فى الأسلحة النووية التكتيكية قصيرة المدى ، اقترحت استخدام القنابل النيوترونية مع الصواريخ لانس (مدى ٧٥ ميلا) ومع المدافع عيار ٨ بوصات (مدى ٢٠ ميلا) · وتستمد هذه القنبلة اسمها ، من حقيقة أنه بعد التفجير ، تنطلق منها كميات كبيرة جدا من النيوترونات المشعة ، التى تقتل الافراد ، ولا تؤثر كثيرا على المعدات والمنشآت ، وهكذا تكون من أدق الاسلحة النووية ، التى يمكن استخدامها فى ميدان قتال ، محدود المساحة ، كما أنها أنسب الاسلحة للاستخدام ضد قوات العدو على أراضى الدول الصديقة (أى بعد توغلها فيها) ·

وكانت الحجة الرئيسية للمؤيدين هى أن القنبلة النيوترونية ، هى السبيل الوحيد لاستعادة قوة الردع للدفاعات النووية لحلف الناتو ، لأنها ستقتل الجنرد المهاجرين ، ولا تدمر ما يريد الناتو أن يبقى سليما · وبهذا فهى أفضل بكثير من الوسائل النووية الاخرى التى يمتلكها حلف الناتو وذات أثر فعال لوقف أى هجوم سوفييتى مفاجىء على أوروبا الغربية باستخدام المدرعات ·

وتلخصت آراء المعارضين فى أن دقة هذا السلاح المتناهية ، سوف تشجع على استخدامه ، ومن ثم تشجع على تصعيد الصراع التقليدى ، وتحوله بشكل مفاجىء الى صراع نووى ، وأن السوفييت قد يجدون أنفسهم مضطرين الى الرد ، على استخدام القنبلة النيوترونية باستخدام الأسلحة النووية التقليدية ·

وكان ذلك هو موقف الاتحاد السوفييتى ، الـــذى أعلن أن القنبـــلة النيوترونية ما هى الا سلاح نووى ، وأن استخدامها ، يعنى تحول الصراع ، من المستوى التقليدى ، الى المستوى النووى ، وشن الاتحاد السوفييتى ، حملة سياسية مكثفة ، ضـد انتاج تلك القنبلة ، أدت الى تصاعد موجـــة الاعتراض فى أوروبا الغربية ، رفضتها برلمـانات هولندا وبلجيكا والدانمرك ، ولم تفصح باقى الحكومات علنا ، عن موقفها ، ولكنها أيدت اعتراضاتهـــا عليها سرا ٠ وقد أدى كل ذلك الى اعلان الرئيس السابق كارتر فى ٧ مارس ١٩٧٨ تأجيل اتخاذ قرار انتاج القنبلة النيوترونية ٠

وهكذا لم تبق أمام الولايات المتحدة الامريكية ، الا محاولة استعادة الثقة فى الاسلحة النووية ذات المدى المتوسط ، والتى يمكن استخدامها ضـد أهداف تبعد عن خط تماس القوات المتصارعة بمسافة تزيد على ٥٠٠ـ١٠٠٠ كيلو متر ، أى ضد الاحتياطيات المتقدمة من العمق ، وكذا ضد أهداف داخل أراضى الاتحاد السوفييتى والسبيل الى ذلك هو انتاج صواريخ بالستيكية متوسطة المدى وصواريخ كروز بعيدة لمدى ٠

الأوضاع الاستراتيجية الجديدة بعـــد اتفاقية سولت ٢ :

فى اتفاقيـــة سولت الثانية ، التى تم توقيعهـا بواسطة الرئيسين بريجنيف وكارتر فى فيينا يوم ١٨ يونية ١٩٧٩ ، تم الاتفاق على استبعاد الصواريخ السوفيتية متوسطة المدى س س ٢٠ والقاذفة السوفيتية باك فاير ، من قيود التحديد ، كما نص فى الاتفاقية والبروتوكول المرفقة بهـا ، على منـــع انتاج الصواريخ كروز الارضية ، ذات المـــدى الاكثر من ٦٠٠ كيلو متر حتى بداية عام ١٩٨٣ واتفق أيضا على مناقشة مسألة الوسائـل النووية ذات القواعد المتقدمة ، عند مناقشة سولت الثالثة (ويقصـــد بهـــا الوسائل متوسطة المـــدى ، ولكن الموجودة فى المناطق الغربية من الاتحاد السوفييتى ، أو تلك المماثلة والموجودة فى أراضى اوروبا الغربية ، والتى يمكنها من مواقعها المتقدمة ٠ اصـــابة أراضى أوروبا الغربية ، والاتحاد السوفييتى على التوالى) ٠

ومن هنا يظهر اهتمامان يشغلان بال المفكرين العسكريين الغربيين ، الأول ، وهو وجود فجوة فى الوسائل النووية المتوسطة بين ما تملكه قوات

حلف الناتو وقوات حلف وارسو · والثانى ، ضرورة الموافقة والمصادقة على سولت الثانية ، حتى يمكن بدء مناقشة سولت الثالثة ·

وتشير دراسة عسكرية غربية(١٦) الى أن قوات حلف وارسو · تمتلك ٥٣٦٤ وسيلة نووية متوسطة وطويلة المدى ، مخصصة للمسرح الأوروبى ، يمكنها اطلاق ٧٩٣٣ رأسا نووية ، بينما يخصص لحلف الناتو من الوسائل المماثلة ٢٠٤٥ يمكنها طلاق ٣٧٣٨ رأسا نووية (وذلك بدون ادخال عوامل الصلاحية للاستخدام ، والقدرة على البقاء ، وغيرها من الحساب ·

التفوق النووى لقوات حلف وارسو :

ومن ذلك يتضح مدى تفوق قوات حلف وارسو فى الوسائل النووية التوسطة وبعيدة المدى على قوات حلف الناتو ·

ويشير المفكرون العسكريون ، الى أن اهم تلك الوسائل السوفيتية ، هى الصاروخ س س ٢٠ متوسط المدى ذاتى الحركة ، الذى يضع منه لاتحاد السوفيتى ١٢٠ صاروخا فى أراضى روسيا الاوروبية ، والتى يمكنها من مواقعها هناك لما تتمتع به من مدى بعيد (من ثلاثة الى أربعة آلاف ميل) تغطية كل أراضى أوروبا الغربية · ويزيد من خطورة هذا السلاح · انه متعدد الرؤوس ذاتية التوجيه (كل صاروخ له ثلاثة رؤوس فرعية نووية ، كل بقوة ١٥٠ كيلو/طن) ·

ويتميز هذا الصاروخ بدقة عالية ، وبهذا يمكنه بنجاح مهاجمة اهداف محصنة مثل قواعد اطلاق الصواريخ الفرنسية المحصنة ، والموجودة فى منطقة تلال البيون جنوب شرق فرنسا ·

وبالاضافة الى الاعداد المتيسرة من هذا الصاروخ فعلا ، ينتظر أن يحول الاتحاد السوفيتى الصواريخ القديمة من نفس المدى (٦٠٠ الى ٧٠٠ صاروخ) ويستبدل بها صواريخ جديدة من طراز س س ٢٠ ·

ولهذا ينادى المفكرون العسكريون الامريكيون ، بضرورة امتلاك صاروخ باليستيكى متوسط المدى ، ذاتى الحركة ، فى أوروبا الغربية · لمواجهة هذا الخطر · وتقليل هذه الفجوة ·

والصاروخ الذى ينادون بانشائه ، يطلق عليه مبدئيا « برشنج » وقد يصل مداه الى (١٥٠٠/٣٦٠٠ كم) وهو ذاتى الحركة وله رؤوس متعددة ذاتية التوجيه (من ثلاثة رؤوس فرعية ، يمكن توجيه كل منها ضد هدف مستقل) ٠

ولتوفير قدر أكبر من القدرات النووية لحلف الناتو ، يقترح الأمريكيون ، انتاج اعداد من الصواريخ الكروز ذات المدى الاكبر من ٦٠٠ كم (ينتظر أن يكون مداها ١٦٠٠ كيلو متر) ابتداءا من عام ١٩٨٣ فى أوروبا الغربية ٠

وأطلق الامريكيون على هذه الخطة اسم « تحديث القوات النووية للناتو » ، وتقضى بوضع عدد ١٠٨ صاروخ برشنج ٢ فى القواعد الامريكية بجمهورية المانيا الاتحادية و ٤٦٤ صاروخا مجنحا (كروز ـ توماهوك) فى انجلترا وهولندا وبلجيكا وايطاليا ، على أن تظل هذه الاسلحة الجديدة تحت الاشراف الأمريكى ٠

وقد تمت مناقشة هذه الخطة بمعرفة لجنة التخطيط النووى لحلف الناتو يومى ١٢ ، ١٣ نوفمبر ١٩٧٩ فى بلجيكا ٠ ووافقت عليها الدول المشتركة فى اللجنة عدا هولندا ٠

وسوف يتكلف تنفيذ هذه الخطة ، أربعة بلايين دولار ، ويبدأ تنفيذها فى عام ١٩٨٣ ٠

التحركات السوفيتية :

فى خطاب فى برلين الشرقية يوم ٦ أكتوبر ٧٩ بمناسبة العيد الثلاثين لنشأة جمهورية المانيا الديموقراطية ، عرض الرئيس بريجنيف عدة اقتراحات لما اسماه بـ تدعيم الأمن الأوربى ٠

وتتلخص اقتراحات الرئيس برجنيف فى سحب ٢٠ ألف رجل ٠ وألف دبابة من القوات السوفيتية المتركزة فى جمهورية المانيا الديموقراطية ، وذلك احياء لمحادثات الخفض المتبادل والمتوازن للقوات ٠ والتى تدور منذ٦سنوات فيينا بين ممثلى الناتو ووارسو ٠ وأشار الى استعداد الاتحاد السوفييتى

لتخفيض عدد الصواريخ س س ٢٠ المفتوحة فى المناطق الغربية من روسيا ٠ ولكنه اشترط رفض أوروبا الغربية للخطة الجديدة ٠

وفى محاولة للتأثير على المناقشات الدائرة فى دوائر الناتو لتدعيم القوة النووية للحلف ، أكد الرئيس بريجنيف فى خطابه ، أنه خلال عشر سنوات ماضية ٠ لم تتزايد القـــوة العسكرية السوفيتية على المسرح الأوروبى صاروخا واحدا ولا طائرة واحدة ٠

ويشير المحللون الغربيون ، الى أن تلك العبارة ، قد تكون صحيحة ، من حيث الكم ولكنها خاطئة تماما فيما يتعلق بالكيف ، ويقدمون مثالا لذلك، ادخال الصواريخ س س ٢٠ ٠ والطائرات باكفاير ٠

ويبـــدو أن محـــاولات الرئيس بريجنيف لم تنجح فى التـأثير على حكومات حلف الناتو بما يجعلها ترفض تحديث لقوات النووية الا بالنسبة لحكومة هولندا ٠ ولكن يبقى المجال مفتوحا لهذا التأثير ٠

ويبقى التلويح بالتهديد الذى ذ شرته مجلة نوفوى فريميا السوفيتية فى ١٩/١٠/٧٩ على لسان المعلق السوفتى الشهير كرافتسوف ، أن دول غرب أوروبا ، التى قد توافق على قبول الأسلحة الجديدة فى أراضيها ، سوف تصبح فى وضع استراتيجى مختلف تماما عما كانت عليه من قبل ٠٠٠ ان تنفيذ مخططات فتح الاسلحة النووية الصاروخية الامريكية الجـــديدة ، قديؤدى الى خلق مخاطر خاصة بالنسبة لتلك الدول ، التى توافق على قبول تلك الاسلحة ، فليس لدى الدول الاشتراكية خيـــار آخر بخـــلاف اتخاذ اجراءات اضافية كضمان لأمنهـــا ٠

وفى اشارة واضحة الى الدول اعضاء حلف الناتو ، يضيف كرافتسوف فى نفس المقال « ان الاتحاد السوفيتى يؤكد من جديد ٠ أنه لن يستخدم أبدا الاسلحة النووية ضد تلك الدول ، التى ترفض انتاج واقتناء هـ ذا النوع من الاسلحة ، والتى لا تفتح مثل هذه الاسلحة فى أراضيها ، وفى حديث مقتضب لجريدة البرافدا يوم ٦ نوفمبر ٧٩ أكد الرئيس بريجنيف أن موسكو ستظل ملتزمة بوعدها ، بعدم استخدام الأسلحة النووية ، ضـــد الدول غير النووية ،

كما أكد اندريه جروميكو فى مدريد يوم ٢٠ نوفمبر ٠ نفس الموقف وحذر دول أوروبا الغربية ، من قبول الصواريخ الجديدة ٠

وعلى الجانب الآخر يؤكد المفكرون العسكريون الامريكيون ، أنه اذا لم تفتح الولايات المتحدة الامريكية فى أوروبا الغربية أسلحة متوسطة المدى تصل الى روسيا ٠ فان أوروبا الغربية ، ستكون عرضة للتهديد السياسى السوفييتى ٠

وعلى العكس من ذلك فانها بفتح تلك الاسلحة ، تؤكد استعدادها ، لاستخدامها فى حالة تهديد الاتحاد السوفييتى ، لأوروبا الغربية٠ ويرفض هؤلاء المفكرون اقتراح الرئيس بريجنيف تخفيض عدد الصواريخ س س ٢٠ الموجهة الى أوروبا ، ويؤكدون أنه حتى لو سحبت الى ما وراء جبال الأورال ، فانها تستطيع تغطية جميع أهدافها فى أوروبا الغربية ، ويؤكدون أنه لضمان نجاح محادثات سولت الثالثة التى سوف تتناول تخفيض أو تحديد عدد الاسلحة النووية المتوسطة فى أوروبا ، يجب أن تملك الدول الاوروبية ورقة رابحة فى تلك المحادثات ، ألا وهى الصواريخ برشنج ، والصواريخ توماهورك وبعبارة أخرى فانه يجب أن تسبق الجولة القادمة من محادثات الحد من الاسلحة جولة أخرى من سباق التسلح ٠

وقد توصل اجتماع وزراء خارجية ودفاع حلف الناتو (فى بروكسل ١٠ ديسمبر ١٩٧٩ الى قرار وسط ، للتغلب على الانقسام الواضح فى التحالف الغربى ، وكذا لتجنب الضغوط المتزايدة والمتعارضة للقوتين العظميين ، فقد قرر المجلس الموافقة من حيث المبدأ ، على الخطة الأمريكية ، لتدعيم القوة النووية للحلف ، ولكنه لم يتعرض بالتحديد ، للاعداد والأنواع ، ولم توافق هولندا على تلك الخطة ، اذ رفضها البرلمان الهولندى فى أوائل نفس الشهر ٠ واعترضت عليها كل من بلجيكا والدانمرك ، وطالبتا بتأجيل اتخاذ القرار لمدة ستة أشهر ، أما باقى الدول فجعلت موافقتها عليها مشروطة ، سواء بقبول أطراف أخرى لها ، وبمصادقة الكونجرس الأمريكى على اتفاقية سولت الثانية ، وبدء محادثات سولت الثالثة ، والتى أعرب جوزيف لانز السكرتير العام للحلف ، عن أمله فى أن تسفر ، أما عن الاستغناء نهائيا عن تلك الصواريخ ، أو تخفيض عددها الى أدنى مستوى ، وهو الامر الذى يشك

الكثيرون فى حدوثه ، نتيجة الضغوط الشعبية والسياسية الداخلية للرأى العام فى دول أوروبا لغربية ، ويبقى التحذير الصريح(١٧) الذى أطلقه أندريه جروميكو فى مدريد فى نهاية عام ١٩٧٩ أثناء جولته بدول اوروبا الغربية لاثنائها عن ذلك بقوله : « اذا أرادت واشنطن أن تضع صواريخ نووية على عتبة منزلنا ، فلتفكر أولا أن موسكو لن تقف مكتوفة الأيدى » .

خاتمة : وهكذا يتبين من عرضنا السابق أن الردع النووى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لم يعد أفكارا متناثرة تثار هنا وهناك ولكنها دخلت الى حيز التنفيذ بتطوير كلا الجانبين لأسلحة الدمار كذلك فقد تزايدت بالفعل احتمالات الأستخدام الفعلى للاسلحة النووية واصبح لكل جانب دوافعه ومبرراته ودخلت أوروبا هى الأخرى كمسرح للعمليات ولم تسفر المحاولات التوفيقية (اتفاقية سولت ٢) عن تحسن يذكر ، وبقدر معقول من الثقة يمكن القول أن الفترة القادمة ستشهد تطورات هامة تجاه توازن الرعب النووى خاصة فى ظل الحكومة الأمريكية الجديدة .

الهـــــوامش :

(١) راجـــع فى تفصـــيل التكنولوجيا العسكرية ونـــوع الاسلحة الاستراتيجيـــة

Barnaby, Frank & Huisken, Ronald, Arms Uncontrolled SIPRI, Harvard Univ. 1975.

(٢) Ibid., p. 87.

(٣) حول استراتيجية الدمار المتبادل ، راجع تفصيلا :

Lapp, Ralph Eugene. kill and Overkill: The Strategy of Annihilation, London: Yeiden feld, 1963.

(٤) Ibid.

(٥) راجع فى تفصيل ذلك :

Barnab, Frank & Huisken, Ronald, op. cit.

U.S. Arms & Disarmament, 1977 edition of Arms Control and Disarmment Agreements pp. 5 - 26.

Beaton, Leonard. Must the Bomb Spread? Harmonds worth, Penguin, 1966.

Lapp, Ralph Eugene, op. cit.

(٦) فى تفصيل القوة التدميرية للدولتين العظميين ، راجع :

Henry Nash "Nuclear Weaponds, and international behavior" A.W.S., jthoff - Leyden, 1975.

Valdimir Petrov: U.S. Soviet Detente: Past and Future, (American Enterprise Institute for public Policy), 1975.

(٧) Barnaby, Frank & Huisken, Ronald, op. cit.

(٨) Ibid.

(٩) Beaton, Leonard, op. cit.

Lapp, Ralph Eugene, op. cit.

Toung Elizabeth. A Ferewell to Arms Control? Harmonds worth: Penguin 1973.

(١٠) Barnaby Frank & Huisken, Ronald. Arms Uncontrolled. op. cit., pp. 92 - 101.

(١١) اعتمدنا فى هذا الجزء من الدراسة على اللواء الركن/ضياء الدين زهدى ، الأبعاد الاستراتيجية لتحديث لقدرات النووية للناتو ، فى :السياسه الدولية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، العدد ٥٩ نايير ١٩٨٠ ص ص ١٨٧ – ١٩٣ .

(١٢) من تقرير لجنـــة القـــوات المسلحة بالكونجرس الامريكى ـ ديسمبر ١٩٧٦ ٠

(١٣) وهى الاحصـــائيات التى نشرها المركز الدولى للـــدراسات الاستراتيجية بلندن فى نشرة الميزان العسكرى ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ ٠

(١٤) وهى دراسة قامت بهـــا لجنة الميزانية التابعـــة للكونجرس الأمريكى ، وقد نشرت فى ٩ يناير ١٩٧٧ ٠

(١٥) اللواء الركن ضياء الدين زهدى ، مرجع سابق ص ١٩٠ ٠

(١٦) الميزان العسكرى للمعهـد الدولى للدراســات الاستراتيجية ٠ لنـــدن ، ١٩٧٩ ٠

(١٧) اللواء الركن ضياء الدين زهدى ، مرجع سابق ص ١٩٣ ٠